

نيجيريا قبله داعش الجديدة لبناء دولة الخلافة

التنظيم الإرهابي ينقل مركز عملياته إلى حوض بحيرة تشاد للسيطرة على مناطق إستراتيجية

تنظيم داعش الإرهابي يبحث عن بؤر جديدة لتمر كزه داخل الحيز الجغرافي لحوض بحيرة تشاد، وتشير مستويات وطبيعة ما ينفذه عناصره من عمليات كَمَا وكيفا إلى تخطيط مسبق يهدف إلى عزل مناطق إستراتيجية في منطقة بحيرة تشاد والتوغل في دول مثل الكاميرون والنيجر، لتكون بديلا مكانيا لولاية التنظيم عقب هزائمه في سوريا والعراق.

هشام النجار
كاتب مصري

نقل تنظيم داعش جزءا كبيرا من مركز نقله إلى نيجيريا بعد ما يقرب من العام ونصف العام على هزيمته في سوريا، مكثفا من حضوره وعملياته، ليصبح دور فرعه في غرب أفريقيا في المرتبة الأولى ضمن أفرع التنظيم الأخرى بدول العالم.

وشن التنظيم مؤخرًا، هجوما على مركز إغاثي للأمم المتحدة في مدينة ديكاو شمال شرقي نيجيريا، وحاصر عناصره ملجأ احتسني فيه خمسة وعشرون موظفا إغاثيا، في إطار موجة من الهجمات المستوحاة من أسلوبيه القديم المبني على تفريغ المناطق المستهدفة من الوجود الأمني والعسكري المحلي والدولي لإحكام السيطرة عليها.

ويُعد فرع داعش في غرب أفريقيا هو الولاية الأولى من حيث القوة ومستوى القدرات والإمكانات خارج النطاق المركزي التقليدي للتنظيم، وتشير مستويات وطبيعة ما ينفذه عناصره من عمليات كَمَا وكيفا داخل الحيز الجغرافي لحوض بحيرة تشاد، إلى تخطيط مسبق يهدف إلى عزل مناطق إستراتيجية بشمال شرق نيجيريا، لتصبح بديلا مكانيا لولايتي التنظيم بالعراق وسوريا.

بحلول يونيو 2019 أصبحت ولاية غرب أفريقيا أقوى ولاية لداعش خارج هاتين الدولتين، بعد أن أحكم التنظيم سيطرته على القاعدة العسكرية متعددة الجنسيات على الجانب الآخر من بحيرة تشاد.

يدخل التوسع في مساحات خارج سيطرة التنظيم وتنوع الأهداف وفتح جبهات جديدة وتصعيد الهجمات النوعية بشكل غير مسبوق ضد قوات الجيش والشرطة التي تتعاون مع القوات الفرنسية في المنطقة، ضمن سياق إستراتيجية داعش المتعلقة بمساعفه في دمج الفروع المتجاورة جغرافيا في القارة السمراء.

هجمات التنظيم التي زادت وتيرتها خلال المرحلة الأخيرة ضد القواعد العسكرية الإستراتيجية خاصة بولاية بورنو بشمال شرق نيجيريا وجوارها الجغرافي واستهداف تمرکزات الجيش والمراكز الإغاثية الأممية، تؤكد مضي قيادة التنظيم في تنفيذ خطة دمج فرعيه غرب أفريقيا والصحراء الكبرى ضمن هيكل قيادي مركزي تحت قيادة موحدة تبسط سيطرتها على نطاق يمتد من مالي إلى جميع دول حوض بحيرة تشاد.

الجائزة الكبرى لداعش

ما تحويه البلاد من ثروات جعل نيجيريا بمثابة الجائزة الكبرى لداعش، فهي أكبر اقتصاد في القارة وتملك عاشر أكبر احتياطي نفطي في العالم، علاوة على عبور التنظيم هناك على عنوان طائفي عريض يغطي به ممارساته وانشطته، عبر زعم تبني

الحاضنة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف

الخاصة الاجتماعية التي أسستها الحركة في المناطق الفقيرة ومقرتها المستمرة على تامين مصادر دخل تمويل أنشطتها الإرهابية والاتفاق على عناصرها ومؤيديها، من خلال عمليات الخطف واحتجاز الرهائن سواء المحليين أو الأجانب ثم الإفراج عنهم مقابل الفدى، مكنتها من تحالف



فتح جبهات جديدة وتصعيد الهجمات النوعية

الغربية ومواجهة القوى العسكرية والأمنية، من شأنه تيسير عملية الدمج التي يعتبرها داعش من أولوياته في القارة السمراء.

ويأمل التنظيم مستقبلا في توحيد جبهته في غرب أفريقيا وفتح جبهات جديدة للقتال للتمدد عبر الشمال الغربي لنيجيريا أو جنوبا نحو خليج غينيا، وفي وسط أفريقيا يخطط لدمج المجموعات المباشرة له في الكونغو والصومال وموزمبيق والكونغو الديمقراطية بغرض التمدد بدول الجوار لاسيما جنوب أفريقيا.

التحديات الإرهابية

تُقابل هذا الاتجاه جملة من التحديات المحلية والإقليمية والدولية، أهمها ما يجري بشأن احتواء تنظيم القاعدة؛ لأن تفويض القاعدة بإيعاز من الدول الداعمة لجهود مكافحة الإرهاب وبموافقة ضمنية منها، من شأنه أن يؤدي إلى تحييد جبهة من جبهات القتال وهي جبهة القاعدة ما يسهل تركيز الضربات العسكرية على جبهة داعش.

ومن شأن سعي داعش للانفراج بالساحة الأفريقية وإقصاء القاعدة من جبهة ودخول القاعدة في تجارب تفاوضية مع الحكومات المحلية أن يؤدي إلى حرمانه من شريك جهادي ظل يلعب دورا ميدانيا، خاصة وأنه كان هناك نمط من التعاون بين التنظيمين في العديد من الساحات الأفريقية بعكس الحال في الشرق الأوسط.

تشكيل دول حوض بحيرة تشاد قوات مشتركة لمواجهة التحديات الإرهابية غير المسبوقة في نيجيريا، لن يكون فعلا دون دعم خارجي ودون تشكيل تحالف دولي يلعب فيه الاتحاد الأوروبي دورا محوريا لإنزال هزيمة حقيقية بداعش على الأرض، وشل قدراته القتالية وقطع الطريق على إمدادات السلاح والمال إلى عناصره وقياداته.

على الرغم من أن هزيمة فرع داعش في غرب أفريقيا تبدو بعيدة، إلا أن إحياء التحالف الخامس لدول حوض بحيرة تشاد للتصدي عسكريا للتنظيم، وتفعيل برامج اجتماعية واقتصادية شاملة توفر حياة كريمة وفرص عمل للسكان المحليين، ويعيد تاهيل القتالين السابقين بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي الذي أبدى استعدادا لتقديم المساعدات اللازمة لهذا النشاطات، كل ذلك من شأنه صرف الشباب عن الالتحاق بالتحركات المتطرفة ويقلل من فرص اكتمال تشكيل حاضنة اجتماعية لداعش، تمهيدا لتحييده وتقليص نفوذه إلى أدنى مستوياته.

خصمه الأيديولوجي تنظيم القاعدة في منطقة الساحل والصحراء، وأعطى التحول إلى تكتيك استهداف العدو البعيد الأفضلية لداعش ليستعرض قوته ويكسر نفوذه بالمقارنة بالقاعدة المتوقعة داخل إطار نماذج محلية، فضلا عن التوسع في تنفيذ عمليات ضد أهداف شتى وضعت اسم داعش في بؤرة المشهد الجهادي بعدد عمليات قياسية ضد أهداف ذات حيوية قوية، ما مثل أداة جذب وتجديد للعناصر المتطرفة الجديدة بمناطق تشهد حالة سيولة وعدم استقرار سياسي وأمني.

ووفق رؤية أكثر شمولاً لإستراتيجية داعش في أفريقيا التي يلعب فيها فرع ولاية غرب أفريقيا دورا مركزيا، فإن سيطرة التنظيم على مجمل النشاط الإرهابي في أفريقيا مقابل تقليص نشاط القاعدة واكتساب مكانة أعلى عبر استهداف القوات

الغربية ومواجهة القوى العسكرية والأمنية، من شأنه تيسير عملية الدمج التي يعتبرها داعش من أولوياته في القارة السمراء.

ويأمل التنظيم مستقبلا في توحيد جبهته في غرب أفريقيا وفتح جبهات جديدة للقتال للتمدد عبر الشمال الغربي لنيجيريا أو جنوبا نحو خليج غينيا، وفي وسط أفريقيا يخطط لدمج المجموعات المباشرة له في الكونغو والصومال وموزمبيق والكونغو الديمقراطية بغرض التمدد بدول الجوار لاسيما جنوب أفريقيا.

تشكيل دول حوض بحيرة تشاد قوات مشتركة لمواجهة التحديات الإرهابية غير المسبوقة في نيجيريا، لن يكون فعلا دون دعم خارجي ودون تشكيل تحالف دولي يلعب فيه الاتحاد الأوروبي دورا محوريا لإنزال هزيمة حقيقية بداعش على الأرض، وشل قدراته القتالية وقطع الطريق على إمدادات السلاح والمال إلى عناصره وقياداته.

على الرغم من أن هزيمة فرع داعش في غرب أفريقيا تبدو بعيدة، إلا أن إحياء التحالف الخامس لدول حوض بحيرة تشاد للتصدي عسكريا للتنظيم، وتفعيل برامج اجتماعية واقتصادية شاملة توفر حياة كريمة وفرص عمل للسكان المحليين، ويعيد تاهيل القتالين السابقين بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي الذي أبدى استعدادا لتقديم المساعدات اللازمة لهذا النشاطات، كل ذلك من شأنه صرف الشباب عن الالتحاق بالتحركات المتطرفة ويقلل من فرص اكتمال تشكيل حاضنة اجتماعية لداعش، تمهيدا لتحييده وتقليص نفوذه إلى أدنى مستوياته.

في سوريا، مستندا إلى ضعف الأداء الحكومي وانهيار معنويات الجيش وتراجع قدراته العسكرية والقتالية، جعلوا النيجيريين في وجه المدفع ما كرس من تدمرهم وحققهم على الدولة؛ فهم من يجري اقتحام بلداتهم وقراهم بغرض تشتيت قوات الأمن واستنزاف طاقاتها.

ووصل فرع داعش في غرب أفريقيا إلى مستوى من القوة لم يصل إليه من قبل، ما جعل قاداته يضعون عليه الأمل لتعويض ولاية التنظيم في سوريا، وهو ما يتضح في رسائلهم الإعلامية، وتدل عليه إستراتيجيته التي ينفذها على الأرض، والتي تشمل بجانب استهداف قوات الأمن والجيش النيجيري والمراكز الأممية والقوات الفرنسية، مهاجمة بلدات وقرى في مناطق متباعدة تشكل خارطة ولايته الموعودة التي يطمح في تشكيلها والهيمنة عليها.

وإلى تكتيك تنوع الأهداف تحت عنوان "أسلوب عمل المجاهدين" بين مهاجمة المدنيين واقتحام قراهم ومدنهم وخطفهم كرهائن، فضلا عن مهاجمة القواعد العسكرية وكماثن الجيش من خلال الآليات ثلاث هي "الاستقرار وتثبيت العدو وكبت المناققين وضرة المؤمنين" وفتح الخطط التي نشرها التنظيم عبر منافذ الإعلامية، إلى تشتيت جهود قوات الجيش والقوى الأمنية الحائرة بين محاولات إنقاذ المدنيين وحماية أفرادها من جهة وتمركزاتها وكماثنها من جهة أخرى.

وتسبب الهجوم على القرى والبلدات المستهدفة إلى فرار غالبية سكانها، حيث نرح مئات الآلاف من مناطق هاجمها التنظيم ويعيشون في مخيمات معتمدين على مساعدات تقدمها منظمات إنسانية، وربطت مهاجمة القوات الفرنسية المتمركزة بدول الساحل والصحراء ودول غرب أفريقيا بين النطاقات الجغرافية التي يخطط للتنظيم للسيطرة عليها ودمج أفرعه الناشطة بها.

فتح جبهات جديدة للقتال

ارتكز فرع داعش في غرب أفريقيا في سبيل الهيمنة على الشمال النيجيري على العديد من المقومات؛ في مقدمها التركيز على العدو البعيد، لتحقيق جملة من الأهداف المهمة للتنظيم خلال المرحلة المقبلة، منها التوسع والتمدد وبناء خلافته البديلة في أفريقيا والامتددة من دول غرب أفريقيا إلى دول الساحل، وتحقيق أكبر قدر من النكاية الثأرية للدول الغربية، علاوة على تقليص نفوذ وحضور

خطوط ومساعي القضاء عليها وتقليص نفوذها.

وصارت نيجيريا بمرور الوقت بالنسبة لداعش بديلا عن سوريا، بعدما تمكن فرعه في غرب أفريقيا بالترزامن مع سقوط ولاية سوريا وإخراج التنظيم من آخر جيب هناك عام 2019، من تجاوز هزائمه وإعلان ولايته الأقوى في أفريقيا المرشحة للتمدد من غرب أفريقيا إلى أغلب دول منطقة الساحل والصحراء.

وبعد عقد فقط من إعلانه عن تلك الخطة في العام 2009، تحقق ما أصبح عنه قادة ولاية داعش في غرب أفريقيا من تفاصيل متعلقة بمخطط السيطرة على نطاق منطقة بحيرة تشاد، والتوغل في دول مثل الكاميرون والنيجر وتشاد ومنها التمدد إلى دول الساحل مثل مالي وبوركينا فاسو، ضمن سياق إستراتيجية لا تخلو من نزعة ثأرية من التحالف الدولي الذي أسقط التنظيم بالمنطقة العربية.

وكرس داعش الآن نفوذه وإمكاناته في غرب ووسط أفريقيا مهددا المصالح الغربية ومقلصا النفوذ الغربي، ومتحديا تشكيل تحالف دولي على غرار التحالف الذي أسقطه في سوريا والعراق، والذي يبدو أنه السبيل الوحيد لهزيمة عسكريا وميدانيا.

تمركز ونمو

توغل تنظيم داعش خلال السنوات الماضية في الكثير من المناطق بنيجيريا وهددت قوته تماسك الدولة، ولم يف الرئيس محمد بخاري بتعهدده عندما جرى انتخابه عام 2015 بسحق تمرد المتطرفين بشمال شرقي البلاد، فضلا عن عجزه رغم خلفيته العسكرية في تطوير أداء الجيش ليصبح هو صاحب المبادرة في الحرب ضد الإرهابيين.

وسيطرة داعش على مناطق ريفية شاسعة، فضلا عن التحكم في طرق وممرات إستراتيجية ونجاحه في تنفيذ عمليات نوعية ضد قواعد عسكرية وتمكنه من نصب كماثن لاختطاف عسكريين ومدنيين وموظفي منظمات إغاثية فضلا عن عمليات اختطاف الفتيات وطلبة المدارس، أفقدت الدولة ومؤسساتها هيبتها وأضعفت ثقة الكثيرين من النيجيريين فيها.

صاحب العجز العسكري عن حسم المعركة ضد داعش فساد حكومي واسع وسوء توزيع للثروة وعوائد النفط ما ضاعف من التذمر الشعبي، مهيئا شرائح مهيمنة تشعر بالظلم الاجتماعي لأن يتحول غضبها من مجرد الاستعداد للانخراط في معارضة الدولة إلى الانضمام لإحدى خلايا داعش والتورط في عمل إرهابي.

ويوجد داعش في نيجيريا مكانا ملائما للتمركز والنمو بعد تدهوره



التنظيم الإرهابي
وجد في نيجيريا مكانا
ملائما للتمركز والنمو بعد
تدهوره في سوريا، مستندا
إلى ضعف الأداء الحكومي
وانهيار معنويات الجيش
وتراجع قدراته العسكرية
والقتالية



تغول الفقر يفرخ الإرهابيين